

" ظلال اللهجات القديمة "

في بنية الكلمة "

(بحث محكم)

إعداد
د. إبراهيم يوسف السيد

المقدمة:

يعتقد كثير من المحدثين أن اللغة الأدبية النموذجية (الفصحى) وإن كانت قد قامت على أساس لغة قريش إلا أنها جمعت سمات من لهجات عربية أخرى، حتى إنها على مرّ الأيام أصبحت مزيجاً من اللهجات العربية القديمة، وقد شكلت لهجة قريش معظم صفاتها.

وهم يرون أن البحث في هذه اللهجات القديمة لا يُقلّل من شأن الفصحى، ولا يفت في عضدها ووحدها، لهذا شجعوا على دراستها. وقد تبين لهم أن بعض السمات اللهجية القديمة له امتداد في اللهجات العربية الحديثة، على نحو ما سيتضح في ثنايا هذه الدراسة. وعلى هذا، فيمكن الاستفادة من هذه السمات القديمة في إلقاء الضوء على كثير من صفات اللهجات الحديثة.

ألقت هذه اللهجات العربية القديمة بظلالها في بنية الكلمة في الفصحى، فظهرت فيها سمات من تلك اللهجات أدت إلى تعدد صورها أحياناً، مع أن شرط اللغة الأطراد والتوحد في القوانين والأنظمة التي تحكمها.

في ضوء ما تقدم جمعت ما تيسر لي من هذه السمات اللهجية من مصادرها، وبقدر ما يتسع له هذا البحث، وقمت بدراستها وتحليلها. وقد وجدت أن بعض هذه السمات جاءت منسوبة إلى قبائلها، لكن بعضها الآخر اكتفى عدد من النحاة عند الإشارة إليها بالقول: "وهي لغة لبعض العرب" أو "ومن العرب من يقول" أو "وبعض العرب يقول" أو نحو ذلك. الأمر الذي كلفني الرجوع إلى أمهات كتب الصرف والنحو والقراءات والمعجمات لأجل نسبة هذه السمات إلى قبائلها، وتوثيق هذه النسبة. وعلى هذا الأساس جاءت هذه السمات في البحث معزوة إلى أصحابها.

وقد وجدت أيضاً أن القبائل العربية تفاوتت في نسبة هذه السمات إليها، على أن أشهر القبائل التي تعددت نسبة هذه السمات إليها: تميم وطيء وهذيل. في حين أن القبائل الأخرى لم

يتجاوز ما نسب إليها سمة واحدة اشتهرت بها، مع أن معظم هذه القبائل بغض النظر عن تفاوتها في السمات التي نسبت إليها، من القبائل التي اشتهرت بالفصاحة عند الرواة والنحاة، فاحتجوا بأقوالهم وأخذوا عنهم.

ورأيت في عرض هذه الظلال اللهجية في بنية الكلمة، أن أبدأ بالقبائل التي تعددت نسبة هذه الظلال إليها، لانتقل بعد ذلك إلى القبائل التي انفردت بسمة واحدة نسبت إليها. وهكذا اقتضت طبيعة البحث تقديم هذه الظلال ودراستها وتحليلها من خلال العناوين التالية:

- الظلال اللهجية التميمية.

- الظلال اللهجية الطائية.

- ظلال لهجة هذيل.

- ظلال لهجية متفرقة.

أولاً: الظلال اللهجية التميمية في بنية الكلمة

١- إسكان المتحرك بالضمّة أو الكسرة في عين الثلاثي المجرد:

الشائع المشهور في عين الثلاثي المجرد سواء أكان اسماً مفرداً أم جمعاً أم فعلاً هو التحريك، وهذه لغة الحجازيين، وهي اللغة الأفصح^(١)، وقد أخذت بها اللغة المشتركة (الفصحى) وانتشرت بين العرب على هذا الوجه. وإلى جانبها وجدت لغة أخرى تذهب إلى إسكان عين الثلاثي المجرد المضمومة أو المكسورة في الفعل وفي الاسم، الأمر الذي يُحدث تغييراً في بنية الكلمة. وقد نسبها سيويه إلى بكر بن وائل وأناس كثيرين من بني تميم^(٢)، وعزاها ابن جني إلى تميم^(٣)، وأبو حيان إلى تميم وناس من قيس^(٤). وفي كل الأحوال فقد أجمعت هذه الروايات على نسبتها إلى تميم، وعليه فالظاهرة تميمية، انتقلت منهم إلى غيرهم من القبائل البدوية، يقولون: في

(١) ابن جني، أبو الفتح عثمان. المختص في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. تحقيق علي النجدي ناصف وزميله (المجلس الأعلى للثقافة الإسلامية)، القاهرة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٥٥.

(٢) سيويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب). القاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ج ٤، ص ١١٣.

(٣) ابن جني. المختص ٢٥٥/١.

(٤) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزميله (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى. بيروت. لبنان ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج ١، ص ٦٥١.

فخذ: فخذ، وفي كبد: كبد، وفي عضد: عضد، وفي رجل: رجل، وفي رسل: رسل، وفي كرم: كرم، وفي علم: علم، وقالت العرب في مثل لهم: "لم يحرم من فُصد له" أي فُصد^(١).

تسربت ظاهرة الإسكان إلى القراءات القرآنية، فقرأ بها عدد من القراء، وما ورد

من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

- الفعل "لعنوا" في قوله تعالى: "ولُعنوا بما قالوا" (المائدة ٦٤). قرأه أبو السمال "لعنوا" بسكون العين^(٢).
- ومنه الفعل "رحب" في قوله تعالى: "وضاقت عليكم الأرض بما رحبت" (التوبة ٢٥) قرأه زيد بن علي "بما رحبت" بسكون الحاء، وهي لغة تميم يسكنون ضمة "فعل" فيقولون في ظرف: ظرف^(٣).
- ومنه أيضاً "السجل" في قوله تعالى: "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب" (الأنبياء ١٠٤). قرأه الحسن البصري كطي السجل بكسر السين وسكون الجيم، وأجازه أبو عمرو وحكاه عن أهل مكة^(٤).
- وما ورد من ذلك أيضاً "نظرة" في قوله تعالى: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة" (البقرة/٢٨٠). قرأ الجمهور "نظرة" بكسر الظاء، وقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة "نظرة" بسكون الظاء، وهي لغة تميمية يقولون في كبد. كبد^(٥).
- ومنه "القدس" في قوله تعالى: "وأيدناه بروح القدس" (البقرة ٢٨٧). قرأ ابن كثير وحده "القدس" مسكنة الدال، وكذلك في جميع القرآن، وقرأ الباقر "الْقُدُس" مضمومة القاف والدال^(٦).

(١) سيبويه، الكتاب ج ٤، ص ١١٤.

(٢) أبو حيان، البحر المحیط ٥٣٤/٣.

(٣) أبو حيان، البحر المحیط ٢٥٥/٥.

(٤) ابن جني، المحتسب ٦٧/٢.

(٥) أبو حيان، البحر المحیط، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٦) أبو علي، الحسن بن عبد الغفار الفارسي. الحجة للقراء السبعة. تحقيق بدر الدين قهوجي وزميله (دار المأمون

للتراث. الطبعة الأولى. دمشق ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ٢، ص ١٤٨.

- ومنه "كتب" و"رُسل" في قوله تعالى: "كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" (البقرة ٢٨٥).
قرأ يحيى بن يعمر: وكتبه ورسله بإسكان التاء والسين وروي ذلك عن نافع، وقرأ الحسن،
ورسله بإسكان السين وهي رواية عن أبي عمرو^(١).

يتضح من الأمثلة السابقة ورود قراءات تجاوز أصحابها الحركة ولم ينطقوا بها في عين
الثلاثي المجرد المضمومة والمكسورة، سواء أكان فعلاً أم اسماً، فقد قرأ بأحرف من أمثلة الإسكان
عدد متزايد من القراء، من السبعة ومن غيرهم. ويلاحظ أن هؤلاء القراء من بيئات لغوية مختلفة،
الأمر الذي يشير إلى أن ظاهرة الإسكان وإن كانت تنتسب في الأصل إلى القبائل البدوية
النجدية، إلا أنها انتقلت إلى البيئات اللغوية الأخرى، فقد قرأ بأمثلة منها بعض أهل الحجاز كابن
كثير شيخ القراء في مكة، ونافع مقرئ أهل المدينة، على حد ما ذكرت الروايات، ولا غرو في
ذلك فإن إسكان عين الكلمة، في حالتي الضم والكسر، لا خلاف في تجويزه بين النحويين سواء
وقع في الشعر أو في النثر^(٢)، والغرض منه هو التخفيف من استئصال الضمة والكسرة. ويعزو
سيبويه هذه الظاهرة لأسباب صوتية، ذلك أنهم في مثل "فخذ" و"كبد" (فعل) "كرهوا أن يرفعوا
ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى
الأثقل"^(٣)، وفي مثل "عُصر" (فعل) كرهوا "الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الواو مع الياء في
مواضع"^(٤)، وعند تتابع الضمتين كما في "عُنُق" و"رسل" (فعل) يخففون أيضاً لأنهم "كرهوا ذلك
كما يكرهون الواوين وإنما الضمتان من الواوين"^(٥)، وكذلك الحال عند تتابع الكسرتين كما في
"إبل" (فعل) يخففون لأن الكسرتين "تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان في مواضع وإنما
الكسرة من الياء"^(٦).

ومقتضى هذا الكلام أن علة الإسكان كما ذهب سيبويه، هي التخفيف من ثقل
الانتقال من الفتحة إلى الكسرة، أو إتباع الكسرة للضمة، أو تتابع الضمتين أو الكسرتين، ذلك

(١) أبو حيان، البحر المحيط ٣٧٩/٢.

(٢) أبو علي الفارسي، الحجة ٧٩/٢.

(٣) سيبويه. الكتاب ١١٤/٤.

(٤) المصدر السابق ١١٤/٤.

(٥) المصدر السابق ١١٤/٤.

(٦) المصدر السابق ١١٥/٤.

أن الضمة أثقل الحركات عندهم تليها الكسرة، أما الفتحة فلا ثقل فيها. ويرجع الفراء ثقل الضمة والكسرة لأسباب نطقية يقول^(١): "فإنما يستقل الضم والكسر لأن المخرجيهما مؤونة على اللسان والشفيتين، تنضم الرفعة بهما فيثقل الضمة، ويمال أحد الشدين إلى الكسرة فترى ذلك ثقبلاً، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة".

لأجل ما تقدّم قصر النحاة جواز إسكان عين الثلاثي المجرد على الضمة والكسرة، ولم يجزوا إسكان الفتحة لأن الذين يقولون: فخذ وكبد ورجل في فخذ وكبد ورجل لا يقولون في جمل: جمل (٢)، ومع ذلك ورد شيء من إسكان المفتوح فعده ابن جني شاذاً لا يقاس عليه نحو قول الشاعر^(٣):

وما كل مُبتاعٍ ولو سلف صفقه
براجع ما قد فاته برداد

يريد: سلف فأسكن اللام المفتوحة.

هكذا يرى القدماء أن اللجوء إلى الإسكان يهدف إلى التخفيف من استتقال الضمة والكسرة، أما المحدثون فإن لهم رأياً آخر في تفسير الظاهرة يقوم على أساس النظام المقطعي في نسج الكلمة العربية، فهم يرون أن قبيلة تميم وغيرها من القبائل النجدية البدوية التي تُسكن عين الكلمة تنفر - في واقع الحال - من توالي المقاطع المتحركة (المفتوحة).
وتؤثر المقاطع الساكنة^(٤) (المغلقة)، وهي على هذا الأساس تميل إلى البدء بالمقطع المغلق لا المفتوح^(٥). ولتوضيح ذلك نقول:

بتطبيق النظام المقطعي على ما ورد من أمثلة ظاهرة الإسكان، وبالعودة إلى أمثلة النحاة القدما للظاهرة كما مر سابقاً، وإشارتهم إلى أنها تقع في الأسماء ومنها: فخذ (فعل) وعضد (فعل)

(١) الفراء. أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن. تحقيق محمد علي النجار (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٥م)، ج ٢، ص ١٣.

(٢) انظر سيويه. الكتاب ٢٠٤/٤ وابن جني. المنصف في شرح تعريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وزميله (مكتبة مصطفى الباي الحلبي. الطبعة الأولى. القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)، ج ١، ص ٢١.

(٣) ابن جني، المختص ٥٣/١.

(٤) د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية (مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٦٥)، ص ١٦١.

(٥) د. ضاحي عبد الباقي، لغة تميم، دراسة تاريخية وصفية (مجمع اللغة العربية. القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٤٦.

ورسل (فعل) وإبل (فعل) وفي الأفعال نحو: كرم (فعل) وعلم (فعل) وعصر (فعل) فإن نسج كل اسم في تقسيمه المقطعي يتكون من ثلاثة مقاطع: اثنان قصيران مفتوحان (النوع الأول) (ص ح) وثالث مغلق قصير (النوع الثالث) (ص ح ص) على النحو التالي: (فَ + خ + ذَّ)، (عَ + ضُ + ذَّ)، (رُ + سُ + لَّ)، (إِ + بَ + لَّ). ومثل هذه الأسماء تتحول في ظاهرة الإسكان وفق ما قرره القدماء إلى مقطعين مغلقين من النوع الثالث على النحو التالي: (فخ + ذَّ)، (عض + ذَّ)، (رس + لَّ)، (إب + لَّ)، الأمر الذي يؤكد أن أصحاب هذه الظاهرة قد آثروا المقاطع المغلقة على توالي المتحركة على نحو ما قدّمنا، وهو أمر يقره علماء العربية قدامى ومحدثون، وينسجم مع ميل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة^(١).

أما الأفعال فإنها في تقسيمها المقطعي تتكوّن من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة (النوع الأول) (ص ح) على النحو التالي: (ك + ر + م)، (ع + ل + م)، (ع + ص + ر). ومثل هذه الأفعال تتحول في ظاهرة الإسكان إلى مقطعين الأول منهما مغلق قصير (النوع الثالث) (ص ح ص) والثاني قصير مفتوح (النوع الأول) (ص ح) ليصبح النطق بها على النحو التالي: (كر + م)، (عل + م)، (عص + ر)، أي أنهم آثروا البدء بالمقطع المغلق القصير وفق ما ذهب إليه المحدثون على نحو ما أسلفنا.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الظاهرة في لهجة تميم أدت إلى وجود صورتين في العربية في بنية الثلاثي المجرد سواء أكان اسماً أم فعلاً على النحو التالي:

الأولى تذهب إلى تحريك عينه وهذه هي اللغة الأفصح وهي لغة أهل الحجاز وقد أخذت بها الفصحى وجاء القرآن الكريم عليها.

الثانية تذهب إلى إسكان عينه في حالتي الضم والكسر وهي لغة تميم، ووردت في بعض القراءات القرآنية فقرأ بها عدد من القراء من السبعة ومن غيرهم، وقد أجازها النحاة في المضموم والمكسور في الشعر وفي النثر، لكنهم لم يجيزوا إسكان المفتوح واعتبروا ما ورد منه شاذاً.

(١) د. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية (دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦١م)، ص ١١٢،

٢- كسر حرف المضارعة:

ورد عن العرب في حركة حرف المضارعة للفعل المبني للمعلوم لغتان:

الأولى: الفتح، وهذا هو الأصل في حرف المضارعة، وهي اللغة الفصيحة التي جاء القرآن الكريم عليها، ونسبها سيبويه إلى أهل الحجاز^(١)، وعزاها صاحب اللسان إلى أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل^(٢)، يقولون: أعلم، تعلم، يعلم، نعلم. الثانية: كسر حروف المضارعة سوى الياء: يقولون: أنا أعلم وأنت تعلم ونحن نعلم، وكذا في المثال والأجوف والناقص والمضاعف نحو: إيجل، وإخال، وإشقى، وإعض^(٣)، حيث تتغير بنيتها. وذكر سيبويه^(٤) أن الكسر لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، ومؤدى هذا الكلام أن هذه الظاهرة واسعة الانتشار بين القبائل العربية، إلى حد جعل الأخفش يذهب إلى أن كل من ورد عليهم من الأعراب لم يقل إلا تعلم بالكسر^(٥)، ومعلوم أن الأعراب من القبائل البدوية النجدية كثيراً ما كانوا يترددون على البصرة ومدن العراق الأخرى. على أن بعض اللغويين لم يرقه هذا التعميم فحدّد قبائل بعينها تذهب إلى لغة الكسر حيث نسبها ابن جني إلى تميم^(٦)، وعزاها أبو حيان إلى قيس وقيم وأسد وربيعة^(٧).

وعلى أي حال فإن كسر حروف المضارعة (سوى الياء) لا يقع في كل فعل مضارع، وإنما في أفعال معينة هي^(٨):

١- الفعل الثلاثي إذا جاء على وزن فعل يفعل نحو: علم ومرض وشرب فيقال: أنا أعلم وأنت تقرر ونحن نشرب.

(١) سيبويه، الكتاب ١١١/٤.

(٢) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب (دار صادر ودار بيروت، بيروت، لبنان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) مادة (وقى)، ج ١٥، ص ٤٠٣.

(٣) الرضى الاسترأبادي محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق محمد نور الحسن وزميله (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ج ١، ص ١٤١.

(٤) سيبويه، الكتاب ١١٠/٤.

(٥) ابن منظور. لسان العرب مادة (وقى) ١٥/٤٠٣.

(٦) ابن جني: المختص ١/٣٣٠.

(٧) أبو حيان، البحر المحیط ١/١٤١.

(٨) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ص ١١٠-١١٢.

٢- الفعل المبدوء بهمزة وصل إذا كان زائداً عن أربعة أحرف نحو: استغفر ونحرنجهم وانصرف فيقال: نحن نستغفر ونحرنجهم وننصرف.

٣- الفعل الذي يأتي على صيغة تفاعل أو تفاعل أو تفعّل نحو: تعلم وتخاصم وتدحرج فيقال: أنا أعلم وتخاصم وتدحرج.

ويكسر أصحاب هذه اللغة - باستثناء قبيلة بهراء - الهمزة والنون والتاء من حروف المضارعة، ولا يكسرون الياء، لأنهم كرهوا الكسرة مع الياء فثقلت عليهم^(١)، ولأن الياء المشكلة بالكسرة نادرة الشيوع في النطق العربي^(٢).

أما قبيلة بهراء فتذهب لهجتها إلى الكسر مع الياء أيضاً فيقولون: أنا أعلم وهو يعلم وأنت تعلم ونحن نعلم. وقد نسبت هذه الظاهرة إليها، وعرفت بين اللغويين بتلثة بهراء، وعدت من عيوب النطق التي تأبها الفصاحة عندهم، يتضح ذلك مما نقله ابن جني في خصائصه قال^(٣): "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتفجع قيس وعجرقية ضبة وتلثة بهراء".

وقبيلة بهراء من قضاة التي كانت مساكنها متاخمة لبلاد الشام، فهل تأثرت لهجتها في الظاهرة بما جاورها من اللغات السامية كالآرامية والعبرية اللتين اطرّد فيهما كسر حروف المضارعة؟

يرى الدكتور إبراهيم أنيس وكذلك د. رمضان عبد التواب^(٤) أن كسر حروف المضارعة ظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحثية، وليس بعيد على هذا الأساس - في رأينا - أن تأثرت لهجتها في هذه الظاهرة بما جاورها من اللغات السامية فتذهب إلى كسر أول المضارع ثم تنتقل منها إلى القبائل العربية الأخرى كتميم وقيس وأسد وربيعه. وهكذا يمكن أن تكون الظاهرة دخلت إلى العربية من أخواتها الساميات، واستقرت في بيئات لغوية معينة.

(١) سيبويه، الكتاب ١١٠/٤.

(٢) د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية/ ١٤٠.

(٣) ابن جني، الخصائص ١١/٢.

(٤) انظر د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية ١٣٩/ ود. رمضان عبد التواب فصول في فقه اللغة (مكتبة دار التراث، الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٧٧م)، ص ١٠٦.

ويتفق هذا الكلام مع ما ذهب إليه سيويه من القدماء، ود. إبراهيم أنيس من المحدثين من أن الأصل في العربية هو الفتح^(١). وقد أكد ذلك المستشرق تشيم راين أيضاً بقوله^(٢): "إن فتح حروف المضارعة موروث في العربية منذ القدم" وعليه يكون الكسر حادثاً، قد تم بتأثير اللغات السامية.

هكذا احتفظت العربية الفصحى بفتح حروف المضارعة، وبقي الكسر لها ظاهرة لهجية، لذلك وجدنا القراءات القرآنية المتواترة والمشهورة كلها قد جاءت على فتح حروف المضارعة^(٣). ووردت بعض القراءات الشاذة بالكسر ومنها الأمثلة التالية:

- الفعل "تمسّ" في الآية الكريمة "فتمسّكم النار" (هود/١١٣) قرأها يحيى والأعمش وطلحة "فتمسّكم" بكسر التاء.^(٤)
- والفعالان "نعبد" و"نستعين" في قوله تعالى: "إياك نعبدُ وإياك نستعين" (الفاتحة/٥) حيث قرأ زيد بن علي ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الفعل "نعبد" بكسر النون^(٥)، وكذلك الفعل "نستعين" حيث قال فيه أبو حيان^(٦): "وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهي لغة الحجاز وهي الفصحى. وقرأ عبيد بن عمير وزر بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي والأعمش بكسرها وهي لغة قيس وقيم وأسد وربيعة".
- ومن تلك الأمثلة الفعل "أعهد" في قوله تعالى: "ألم أعهد إليكم" (يس/٦٠) قرأه طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفي بكسر الهمزة^(٧).

(١) انظر سيويه. الكتاب ١١١/٤ ود. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية / ١٤٠.

(٢) تشيم راين، اللهجات العربية القديمة. ترجمة د. عبد الكريم مجاهد (المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الطبعة الأولى. بيروت ٢٠٠٢م)، ص ١٣٧.

(٣) د. ضاحي عبد الباقي. لغة تميم (دراسة تاريخية وصفية) وتشيم راين / اللهجات العربية القديمة/ ٣٠١.

ومختار الغوث، لغة قريش (دار المعراج الدولية للنشر. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧)،

ص ١١٠.

(٤) ابن جني المحتسب / ١ / ٣٣٠.

(٥) أبو حيان. البحر المحيط / ١ / ١٤٠.

(٦) المصدر السابق / ١ / ١٤١.

(٧) المصدر السابق / ٧ / ٣٢٨.

– ومنها الفعل "اضطر" أيضاً في قوله تعالى: "ثم اضطره" (البقرة/١٢٦) قرأه يحيى بن وثاب "إضطره" بكسر الهمزة^(١).

ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة كسر حروف المضارعة لا زالت باقية في معظم اللهجات العربية الحديثة، فنحن في الأردن نقول مثلاً "بدك تسمع اسمع بس ما تحكي" بكسر التاء في الفعلين المضارعين، وهي منتشرة أيضاً في كثير من اللهجات العامية في مصر^(٢)، ويقال فيها: "مين يقرأ ومين يسمع بكسر الياء"^(٣)، وموجودة كذلك في لهجات شرقي الجزيرة العربية يقولون: يشرب، وتشرب. وتشربين بكسر الياء والتاء، ويقولون أيضاً: يتسبح، وينكسر ويشتغل ويستعجل ويحمر بكسر الياء فيها جميعها^(٤).

وخلاصة ما تقدم أن لهجة تميم في كسر حرف المضارعة أوجدت صورتين في بنية الفعل المضارع في العربية:

الأولى: وهي الأصل وتذهب إلى فتح حرف المضارعة، وهي لغة أهل الحجاز، وقد نزل القرآن الكريم عليها.

الثانية: تذهب إلى كسر حرف المضارعة (ما عدا الياء) وهي صورة حادثة، دخلت إلى العربية من أخواتها الساميات واستقرت في لهجة تميم وغيرها من القبائل البدوية، ولم ترد في القراءات القرآنية المتواترة والمشهورة، ولكنها جاءت في بعض القراءات الشاذة، ولها امتداد في كثير من اللهجات العربية المعاصرة.

٣- كسرفاء (فعليل) و(فعل):

لم يقتصر كسر أوائل الكلمات في العربية على حروف المضارعة، وإنما جاوزها إلى كسرفاء صيغتي (فعليل) و(فعل) على خلاف الأصل. فالمشهور فيهما أن تكون الفاء مفتوحة. وهذه هي

(١) المصدر السابق ١/ ٥٥٥.

(٢) د. عبد الواحد وافي. فقه اللغة (لجنة البيان العربي، الطبعة السادسة. القاهرة ١٣٨٨هـ)، ص ١٢٢.

(٣) د. رمضان عبد التّوّاب، فصول في فقه اللغة/ ١٠٦.

(٤) ت.م. جونسون، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية. ترجمة د. أحمد محمد الضبيبي (مطبوعات جامعة الرياض، الطبعة الأولى. الرياض ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ١٢٤، ١٢٨).

اللغة الفصيحة الجارية على القياس، والواردة في القرآن الكريم وفي الشعر العربي، وهي لغة أهل الحجاز^(١).

وأورد اللغويون وفي مقدمتهم سيبويه لغة ثانية تذهب إلى كسر الفاء فيهما إتباعاً لحركة العين، وذلك في حالة كون العين أحد الأصوات الحلقية الستة وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وهذه قاعدة مطردة فيها لا تتخلف^(٢). يقولون في ألفاظ على صيغة (فعل) مثلاً: لنيم وشهيد وسعيد ونحيف ورغيف وبخيل فيكسرون أوائلها، ويحدثون تغييراً في بنيتها. وكذلك الأمر في صيغة (فعل) سواء أكانت اسماً نحو فخذ أم صفة نحو رجل محك ووعك أم فعلاً نحو: ضحك ولعب في ضحك ولعب.

ونسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم وهذيل^(٣)، أما ابن منظور فقد نسبها إلى تميم وقيس وأسد^(٤)، وفي الحالتين فإن هذه القبائل تنتسب إلى القبائل البدوية.

ويذهب المحدثون في تفسيرهم للظاهرة إلى أن حركات الكلمات عندما تتجاوز تميل إلى تحقيق الانسجام بأن يحدث نوع من التماثل فيما بينها من أجل الاقتصاد في الجهد العضلي، ويكثر ذلك في لهجات البادية، لأنها أميل إلى هذا الانسجام من لهجات الحضر التي تحرص على تحقيق الأصوات لما امتازت به من التاني والتؤدة في النطق. وعلى هذا الأساس فإن كسر الفاء في (فعل) وفعل) عند أصحاب هذه الظاهرة من القبائل البدوية ليس إلا نوعاً من هذا الانسجام بين حركات هاتين الصيغتين^(٥).

ومن الملاحظ أن الكسرة في عين (فعل وفعل) قد أثرت في فتحة الفاء قبلها فحولتها إلى كسرة لتمامها، فكان التأثير على هذا الوجه رجعيّاً. أما لماذا لم يحدث العكس فيكون التماثل تقدماً فتؤثر فتحة الفاء في كسرة العين بعدها وتحولها إلى فتحة؟ فإن سيبويه يجيب على هذا

(١) سيبويه، الكتاب ١٠٨/٤.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٠٧.

(٣) المصدر السابق ٤، ١٠٧، ٤٤٠.

(٤) ابن منظور. لسان العرب ٢٢٨/٧ مادة (مخض).

(٥) د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية ص ٩٧، ٩٨.

التساؤل بقوله^(١): "ولم تفتح هي أنفسها هنا لأنه ليس في الكلام فاعيل، وكراهية أن يلتبس فعل بفعل فيخرج من هذه الحروف فعل".

ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة كسر الفاء في فاعيل وفعل قد وردت في النشر وفي الشعر العربي وفي القراءات القرآنية، فقد نقل الأصمعي عن شيخ من الأعراب سأل الناس فقال: ارحموا شيخاً ضعيفاً بكسر الصاد في ضعيف^(٢). وأنشد سيبويه لطرفة قوله^(٣):

ما أقلت قدماً ناعلها نعم الساعون في الحمي الشطر

بكسر النون في نعم والأصل نعم.

ومن أمثلة ما ورد منها في القراءات القرآنية الآية الكريمة "إن الله نعماً يعظكم به" (النساء/٥٨) قال أبو حيان^(٤): "وقرأ الجمهور "نعماً" بكسر النون إتياعاً لحركة العين، وقرأ بعض القراء نعماً بفتح النون على الأصل إذ الأصل نعم على وزن شهد". ومنها أيضاً الآية الكريمة "أحلّت لكم بحيمة الأنعام" (المائدة/١) قرأها أبو السّمّال "بحيمة" بكسر الباء^(٥).

وانتقلت الظاهرة كذلك إلى بعض اللهجات العربية الحديثة دون اقتصارها أحياناً على الكلمات الحلقية العين نحو قولهم: كبير وبعيد ونظيف بكسر أوائلها^(٦). ويذكر الدكتور ضاحي عبد^(٧) الباقي أن لهجة بلدهم في مصر يقال فيها رغيف وسليم وكبير وطويل بالكسر. وخلاصة ما تقدم أن هذه اللهجة أحدثت تغييراً في صيغتي (فاعيل) و(فعل) وأوجدت صورتين في بنيتهما:

الأولى: فتح فائهما. وهي الأصل، واللغة الفصيحة الجارية على القياس والواردة في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، وهي لغة أهل الحجاز.

(١) سيبويه، الكتاب ١٠٨/٤.

(٢) السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى وزميله (دار الفكر د. ت) / القاهرة، ج ٢، ص ٩٠.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤٤٠/٤.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط ٢٩٠/٣.

(٥) ابن خالويه. القراءات الشاذة (دار الكندي. إريد. الأردن ٢٠٠٠م)، ص ٣١.

(٦) د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية ٩٨.

(٧) د. ضاحي عبد الباقي. لغة تميم (دراسة تاريخية وصفية) / ٢١٤.

الثانية: كسر فائهما على خلاف الأصل في حالة كون العين أحد الأصوات الحلقية الستة، ونسبت إلى تميم وغيرها في البيئة البدوية. ووردت في بعض النثر والشعر والقراءات القرآنية، كما انتقلت إلى بعض اللهجات العربية الحديثة.

٤- إتمام اسم المفعول من الثلاثي الأجوف:

للعرب في بناء اسم المفعول من الثلاثي الأجوف لغتان:

الأولى: لغة النقص وهي لغة أهل الحجاز وأكثر العرب، واللغة المشهورة الشائعة، وبها أخذت الفصحى ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وكانت الجبال كثيباً مهيلاً" (الزمل/ ١٤). ومن أمثلة هذه اللغة قولنا: مبيع ومقول من باع وقال على النقصان لنقص أحد حروفهما.

الثانية: لغة التمام وتُعزى إلى بني تميم (١)، وتأتي باسم المفعول من الثلاثي الأجوف على الأصل دون نقصان. فمن الياثي قالوا: ثوب مخيوط ورجل مديون وثُر مكبول ومبيوع.

ومن الواوي قالوا: ثوب مصوون وفرس مقوود ورجل معوود من مرضه وخاتم مصووغ، وأنشدوا فيه (٢):

والمسك في عنبره مدووف

ومع أن لغة تميم في الإتمام من الأجوف الثلاثي تكثر في الياثي، إلا أنها تقل في الواوي، لكون الواوين أثقل من الواو والياء (٣)، حتى أن سيويه أشار إلى ندرتها بقوله (٤): "ولا نعلمهم أتموا في الواوات".

لأجل ما تقدّم أجاز النحاة الإتمام في الياثي واعتبروه مقيساً لشيوعه، وخالفهم في ذلك المبرد، فأجازه في الضرورة ولم يجعله قياساً (١). لكن آراءهم تباينت في موقفهم من الإتمام في اسم

(١) ابن جني. الخصائص ٢٦٠/١. الرضي: شرح شافية ابن الحاجب ١٤٩/٣، أبو حيان: إرتشاف الضرب. تحقيق د. رجب عثمان محمد وزميله (مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى. القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م). ج ١، ص ٣٠٨. ابن هشام. أوضح المسالك. (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة السادسة. الرياض، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م)، ٤/٤٠٣.

(٢) ابن جني. الخصائص ٢٦١/١. ابن منظور. لسان العرب ١٠٩/٩ مادة (دوف).

(٣) الرضي. شرح الشافية ١٤٩/٣.

(٤) سيويه. الكتاب ٣٤٩/٤.

المفعول الواوي، فتوقف البصريون - باستثناء المبرد - عن إجازته^(٢)، واعتبره أبو علي الفارسي شاذاً في القياس والاستعمال معاً^(٣). أما الكوفيون وعلى رأسهم الكسائي فقد أجازوا فيه أن يأتي على الأصل قياساً^(٤).

ومهما يكن من أمر فإن لغة تميم التي تذهب إلى إتمام اسم المفعول ما زالت باقية وشائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة^(٥)، فنحن في لهجتنا الأردنية نقول: رجل مديون وثوب مبيوع.

والخلاصة فيما تقدم أن لهجة تميم في الإتمام قد أدت إلى وجود صورتين في بنية اسم المفعول من الثلاثي الأجوف في العربية، وأحدثت خلافاً بين النحاة وتبايناً في الآراء والمواقف على النحو الذي رأيناه.

٥- الإدغام في الفعل المضعف:

الفعل المضعف هو الفعل الذي يتماثل فيه الحرفان الأخيران نحو: ظنّ واقشعر واستبدّ. وقد لعبت لهجات القبائل العربية في استعمالها له دوراً في تعدّد صورته واختلاف بنيته في العربية: ١- فإذا كان ثاني المثليين في المضعف ساكناً لجزم أو بناء، وذلك بأن يكون الفعل مضارعاً مجزوماً مسنداً إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر، أو أن يكون فعل أمر مسنداً إلى ضمير الواحد نحو: لم يردّ أحمد، وعليّ لم يردّ، وردّ يا أحمد. ففي هذه الحالة للعرب فيه لغتان: الأولى: لغة أهل الحجاز وتذهب إلى فك الإدغام يقولون: إن تردد أردد وإن تستعدد استعدد، كما يقولون: اردد واستعدد، ومما ورد على هذه اللغة في القرآن الكريم قوله تعالى: "واغضض من صوتك" (لقمان/١٩)، وقوله: "واستفز من استطعت منهم بصوتك" (الإسراء/٦٤) وقوله: "ولا تمنن تستكثر" (المدثر/٦) وقوله: "ولا تشطط" (سورة ص/٢٢). الثانية: لغة تميم وآخرين من العرب، وتذهب إلى الإدغام يقولون: إن ترد أرد، وإن تستعد استعد، كما يقولون: رد واستعد^(١). ومما ورد على هذه اللغة في القرآن الكريم قوله تعالى:

(١) أبو حيان الأندلسي. الارتشاف ٣٠٨/١. ابن جني. المنصف ٢٨٤/١.

(٢) ابن جني. المنصف ٢٨٤/١، ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق ٢٧٨/١.

(٤) الرّضي، شرح الشافية ١٤٩/٣، ١٥٠.

(٥) تميم رابين، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ٣٠٥.

"ومن يشاق الله" (الحشر/٤). وحكى الكسائي أنه سمع من عبد القيس ارد واغض واقر في اردد واغضض واقرر، بالإبقاء على همزة الوصل، ولم يحك أحد من البصريين بإقرارها^(٢). وذهب د. إبراهيم أنيس في تفسير هذه اللهجة إلى أنها ربما تكون نوعاً من أنواع القياس الخاطي، بأن قاس بنو عبد القيس فعل الأمر هنا على الأمر من الفعل الثلاثي الذي يلتزم فيه بهمزة الوصل، رغبة في اطراد الصيغ في اللهجة الواحدة^(٣).

وعلى أي حال، فإن لغة أهل الحجاز بفك التضعيف وصفت بأنها اللغة العربية القديمة الجيدة^(٤)، واللغة الفصحى القديمة^(٥)، وهي السمة الغالبة في القرآن الكريم وبها نزل أكثره^(٦)، فقد ورد فك الإدغام في اثنين وخمسين فعلاً، ولم يرد الإدغام إلا في خمسة مواضع^(٧).

٢- أما إذا كان ثاني المثليين متحركاً سواء أكان ماضياً أم مضارعاً أم أمراً، وذلك عندما يتصل به ضمير رفع ساكن أي ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة فإنه في هذه الحالة يجب الإدغام على نحو ما أكده سيوييه بقوله (٨): "فإذا تحرك الآخر فالعرب مجمعون على الإدغام" وذلك نحو قولهم: ردّا واستعدوا واستعدي وقولهم: يردان ويستعدون وتستعدين. ونحو: رُدّي وردّا واستعدّوا وكذلك الحال يجب الإدغام إذا أسند الفعل الماضي أو المضارع إلى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر نحو قولنا: استعدّ الطالب للامتحان. ونحو: الطالب استعد للامتحان، وقولنا: يطمئن الطفل إلى أبويه ونحو: الطفل يطمئن إلى أبويه.

-
- (١) سيوييه. الكتاب ٣/٥٣٠. الرضى الاسترابازي. شرح الشافعية ٣/٢٤٦. أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب ٢/٧٢٤، ٧٢٥. ابن جني. الخصائص ١/٢٥٩، ٢٦٠. ابن هشام. أوضح المسالك ٤/٤١١.
- (٢) أبو حيان. الارتشاف ١/٢٤٣، ٢٤٤.
- (٣) د. إبراهيم أنيس في اللهجات العربية/١٥١.
- (٤) سيوييه. الكتاب ٤/٤٧٣.
- (٥) ابن جني. الخصائص ١/٢٦٠.
- (٦) أبو حيان. ارتشاف الضرب ٢/٧٢٤.
- (٧) مختار الغوث. لغة قریش / ٧٧.
- (٨) سيوييه. الكتاب ٣/٥٣٠.

٦- الوقف بالنقل:

الشائع في العربية الفصحى الوقوف على آخر الكلمة بالسكون، في حالة كون الحرف صحيحاً، إلا إذا كان الاسم منصوباً منوناً فيوقف عليه بالألف حيث يقال: هذا طالب، ومررت بطالب، وأكرمت طالباً. أما اللهجات العربية القديمة فقد اتخذت طرائق شتى مختلفة في الوقف على خلاف الشائع.

ومن تلك الطرائق اللهجية الوقف بالنقل، والمراد به نقل حركة الحرف الأخير إلى الحرف الساكن قبله في الوقف فيقال: هذا بكر ومررت ببكر في هذا بكر ومررت ببكر، الأمر الذي يحدث تغييراً في بنية الكلمة. والمعروف أن العربية وإن كانت تمنع التقاء الساكنين في الوصل، إلا أنها تميزه في الوقف فيقال: هذا بكر، ومررت ببكر، يأسكان الكاف والراء في الحالتين. ومع ذلك فإن من العرب من كره التقاء الساكنين في الوقف كما كرهه في الوصل فقام بنقل الضمة إلى الساكن الأول في حالة الرفع والكسرة في حالة الجر^(١). ونسبت الظاهرة إلى تميم وأسد^(٢)

ومن شواهد النحاة على هذه الظاهرة قول الشاعر^(٣):

أنا ابن مـاويّة إذا جدّ التَّقَرُّ

أراد: النقر.

وقول الآخر^(٤):

أرتني حجلًا على ساقِها فـهش الفؤاد لـذاك الحجل

أراد: الحجل.

(١) سيويه. الكتاب ١٧٣/٤. الرضي. شرح الشافية ٣٢١/٢. ابن يعيش. شرح المفصل تحقيق أحمد السيد

سيد أحمد (المكتبة التوفيقية (د. ت). القاهرة، ١٩٢/٤.

(٢) سيويه. الكتاب ١٧٧/٤.

(٣) سيويه. الكتاب ١٧٣/٤. السيوطي جلال الدين. همع الهوامع. تحقيق أحمد شمس الدين (دار الكتب

العلمية. الطبعة الأولى. بيروت (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، ٣٩٣/٣. ابن هشام. أوضح المسالك ٣٤٦/٤.

أبو البركات الأنباري. الإنصاف في مسائل الخلاف. محمد محي الدين عبد الحميد. (القاهرة ١٩٨٢)

٧٣٢/٢.

(٤) ابن يعيش. شرح المفصل ١٩٣/٤. السيوطي. همع الهوامع ٣٩٣/٣.

ومن ذلك قولهم في الأمر: إضر به والمراد: اضربه وقالوا في الموث: ضربه والمراد: ضربته^(١).

وحكى عن ناسٍ من بني تميم هم بنو عدي أنهم يحركون ما قبل الهاء بالكسر فيقولون: ضربته وأخذته في ضربته وأخذته على الأصل في التقاء الساكنين، إلا أن الوجه الأول: ضربته وأخذته هو الأكثر^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن الوقف بالنقل قد جاء على خلاف الشائع في الوقف القرآني القائم على لهجة قريش الذي أخذت به الفصحى، أي على جواز التقاء الساكنين في فواصل القرآن الكريم^(٣) كما في سورة الطارق وسورة القدر وسورة العصر على سبيل المثال، ولم يؤثر الوقف بالنقل عن أحد من القراء إلا ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قرأ الآية الكريمة "وتواصوا بالصبر" (العصر/٣) بكسر الباء إشماماً، وما روي عن سلام أنه قرأ: (والعصر) (سورة العصر/١) بكسر الصاد، وجماعة القراء بالإسكان^(٤). ولا غرو في ذلك فأبو عمرو بن العلاء تميمي وهو متأثر في هذه القراءة ببيئته اللغوية.

أ. ثانياً: الظلال اللهجية الطائفية في بنية

الكلمة

١- قلب الياء المكسور ما قبلها ألفاً في لغة طيء:

اللغة الفصيحة المشهورة عند جمهرة العرب في الياء المكسور ما قبلها، والواقعة في لام الكلمة هي أن تبقى على حالها ياءً، وأن تحرك بالفتحة، سواء وقع ذلك في الفعل الثلاثي المجرد الذي يأتي على وزن (فعل) نحو: بقي ورضي ونسي وشقي وفني، أو وقع فيما جاء على وزن (فاعلة) من الأسماء نحو: الجارية والناصية والكاسية والبادية.

(١) ابن يعيش. شرح المفصل ١٩٣/٤.

(٢) الرضى. شرح الشافية ٣٢٢/٢. ابن يعيش. المفصل ١٩٤/٤.

(٣) د. إبراهيم أنيس. من أسرار العربية / ٢٢٢.

(٤) ابن مجاهد. السبعة في القراءات. تحف شوقي ضيف (دار المعارف. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٤٠٠هـ)،

ص ٦٩٦. أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة ٤٣٨/٦، ٤٣٩. أبو حيان، البحر المحيط ٥٠٧/٨.

وتذهب لغة طيء إلى فتح ما قبل هذه الياء وقلبها ألفاً في الحالتين^(١)، الأمر الذي يحدث تغييراً في بنيتها، فيقولون في الأفعال السابقة: بقى ورضى ونسى وشقا وفنى، أي أنهم يبنونها على (فعل) بفتح العين. ويجعلونه قياساً^(٢)، لأنه يقع كثيراً وبشكل مطرد في لغتهم^(٣)، في حين أن غيرهم من العرب لا يجيزه^(٤).

وفي حالة الأسماء السابقة التي جاءت على وزن (فاعلة)، فإنهم في لهجة طيء يقولون: الجارة والناصة والكاساة والبادة يبدال الياء المفتوحة والمكسور ما قبلها ألفاً، إلا أن مثل هذه الأسماء قليلة في لغة طيء وغير مطردة^(٥). ومن الشواهد على ورودها في الشعر قول حريث بن عتاب^(٦):

لقد آذنت أهل اليمامة طيء بحرب كناصة الأغر المشهر

إن هذه الظاهرة وإن كانت تنتسب إلى طيء إلا أنها تسربت إلى غيرهم من العرب على نحو ما أشار إليه ابن دريد بقوله^(٧): وما رُضا في معنى: ما رضى وهي لغة لطيء وقد تكلم بها بعض العرب" لكنها لم تنتشر بينهم انتشاراً يؤدي إلى قبولها والقياس عليها، وكل ما هنالك أننا وجدناها تتردد على ألسنة بعض الشعراء من قبائل أخرى تأكيداً لما ذهب إليه ابن دريد. ومن أمثلة ذلك ما أورده سيويه في قول طفيل الغنوي^(٨):

إن الغوي إذا نُها لم يعتب

(١) أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب ٣٠٢/١. الرضي الاستراباذي. شرح الشافية ١٢٥/١.

(٢) الرضي. شرح الشافية ٤٨/٤.

(٣) المصدر السابق ٤٨/٤.

(٤) أبو حيان. ارتشاف الضرب ٣٠٣/١.

(٥) الرضي. شرح الشافية ١١١/٣.

(٦) أبو زيد الأنصاري. النوادر في اللغة (دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية، بيروت/١٣٨٧هـ—١٩٦٧م)، ص ١٢٤.

(٧) ابن دريد. أبو بكر محمد بن الحسن. جهرة اللغة (الطبعة الأولى. حيدر أباد الدكن ١٣٤٥هـ—١٤٣/٢) (مادة حرم).

(٨) سيويه، الكتاب ١٨٨/٤.

وقول المستوغر بن ربيعة التميمي^(١):

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوماً يكر وليلة تحذونا

ومهما يكن من أمر، فقد ظهر للهجة طيء أثر في القراءات القرآنية، نستدل على ذلك بما ذكره أبو حيان من أن الحسن قرأ الفعل "بقي" في الآية الكريمة "وذروا ما بقي من الربا" (البقرة/٢٧٨) بقوله: بقي، بقلب الياء ألفاً على لغة طيء^(٢)، كما أن لهذه اللهجة امتداداً في بعض اللهجات العربية الحديثة وفق ما ذكره الدكتور أحمد علم الدين الجندي من أنها مستعملة في لهجة مصر في مديرتي الدقهلية والغربية حيث يذهبون إلى فتح ما قبل الياء وقلبها ألفاً إلا أنهم يكسرون أول الفعل فهم يقولون: لقي وحى ورضت وعمت^(٣).

وهكذا يتضح مما تقدم أنه ورد على ألسنة العرب في الياء المفتوحة والمكسور ما قبلها سواء وقعت في الفعل الثلاثي المجرد على وزن (فعل) أم في الاسم على وزن (فاعلة) وجهان: الأول: يقال فيه على الأصل: بقي ورضي ونسي وجارية وبادية، وهذه هي اللغة الفصيحة المشهورة عند العرب والواردة في القرآن الكريم.

الثاني: يحدث فيه تغيير في بنية الكلمة فيقال فيه: بقي ورضي ونسي وجارة وبادة بقلب الياء المفتوحة المكسور ما قبلها ألفاً. وهي لغة طيء وتكلم بها بعض العرب إلا أنها لم تنتشر بينهم انتشاراً يؤدي إلى قبولها والقياس عليها وقد تسربت إلى القراءات القرآنية، ولها امتداد في بعض اللهجات العربية المعاصرة.

٢- إبدال ألف المقصور ياء أو واو أو همزة في الوقف:

المشهور في الوقف على الاسم المقصور أن تبقى الألف على حالها دون تغيير فيقال: هذا فتى وهذه عصا وحُبلى وأفعى. وهذه هي اللغة الفصحى الشائعة عند العرب (٤). ويذهب بعضهم إلى إبدال ألف المقصور، وكذلك كل ألف متطرفة في الاسم ياء في الوقف، يقولون: هذا

(١) ابن سلام الجهمي محمد طبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه محمود محمد شاكر (مطبعة المدني، القاهرة

١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ج ١، ص ٣٣.

(٢) أبو حيان. البحر المحيط ٣٥١/٢.

(٣) د. أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث (الدار العربية للتراث. القاهرة

١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ٥٣٩/٢.

(٤) سيبويه. الكتاب ١٨١/٤. ابن يعيش. شرح المفصل ٢٠١/٤.

فتى، وهذه عصي وحبلي وأفعي، فيحدث تغييراً في بنية الكلمة، ونسب النحاة هذه اللغة إلى طيء^(١). ويشترك معهم في هذه الظاهرة فزارة وبعض قيس، غير أن طيئاً يُجرون الوصل مجرى الوقف فيبدلون الألف ياء في الحالين. أما فزارة وبعض قيس فقد روي عنهم أنهم يقصرون الإبدال على الوقف، فإذا وصلوا عادت الألف إلى حالها^(٢) فيقولون: هذه عصا أخي، ذلك أن الألف إذا أعقبها كلام كانت أظهر منها في حال الوقف^(٣). قال سيبويه في حديثه عن هذه اللهجة^(٤): "وذلك قول بعض العرب في أفعى: هذه أفعى، وفي حبلى: هذه حبلى، وفي مثنى: هذا مثنى. فإذا وصلت صيرتها ألفاً، وكذلك كل ألف في آخر الاسم. حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناسٍ من قيس ... وأما طيء فزعموا أنهم يدعونها في الوصل على حالها في الوقف". وقد وصف النحاة إبدال الألف ياءً في الوقف بأنها لغة قليلة^(٥).

والمعروف أن الألف عند النحاة أخف من الياء، والوقف مدعاة للراحة والخفة، فما الذي حَمَلَ هؤلاء القوم على ترك الصوت الأخف والانتقال إلى آخر أثقل منه؟ ذهب النحاة في تعليلهم لهذه الظاهرة إلى أنهم أرادوا بإبدالهم الألف ياء في الوقف البيان، ذلك أن الألف خفيفة "فإذا وقفت عليها فتخفى غاية الخفاء حتى تظنّ معدومة"^(٦)، والياء أظهر منها، ولهذا قصدوا إليها واحتملوا ثقلها ليكون الكلام في الوقف أكثر إبانة.

وعلى أي حال، فقد ذكر النحاة أن بعض طيء يُبدلون الألف واواً^(٧)، يقولون: هذه عصو وأفعو وحبلو، وهؤلاء "يدعون الواو في الوصل بحالها في الوقف، وكل ذلك لإجراء الوصل مجرى الوقف"^(٨). والغرض من وراء الإبدال البيان على نحو ما أسلفنا قبل سطور، لأن الألف

(١) سيبويه. الكتاب ٤/ ١٨١. ابن يعيش شرح المفصل ٤/ ٢٠١. الرّضي: شرح الشافية ٢/ ٢٨٦، السيوطي.

جمع الهوامع ٣/ ٣٨٩.

(٢) ابن يعيش. شرح المفصل ٤/ ٢٠١.

(٣) سيبويه. الكتاب ٤/ ١٨١.

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٨١.

(٥) المصدر السابق ٤/ ١٨١. ابن يعيش شرح المفصل ٤/ ٢٠١.

(٦) الرّضي الاسترأبادي. شرح الشافية ٢/ ٢٨٦.

(٧) سيبويه. الكتاب ٤/ ١٨١. ابن يعيش. شرح المفصل ٤/ ٢٠١. الرّضي: شرح الشافية ٢/ ٢٨٦. أبو علي

الفارسي: الحجة ١/ ٨٨. أبو حيان: الارتشاف ٢/ ٨٠١، ٨٠٢.

(٨) الرضي. شرح الشافية ٢/ ٢٨٦.

أدخل في الفم، تليها الياء من وسط اللسان، ثم الواو من الشفتين، فتكون الواو أكثر بياناً من أخيها. ومع ذلك فقد لاحظ النحاة أن إبدال الألف ياء قد شاع في طيء أكثر من إبدالها واواً لأجل مراعاة الحقة اللائقة بالوقف مع البيان^(١). على أن الزمخشري وابن منظور نسباً ظاهرة إبدال الألف واواً في الوقف إلى أهل الحجاز^(٢) أيضاً، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين سئل عن قتل المحرم الحيات فقال: "لا بأس بقتل الأفعو ولا بأس برمي الحدو"^(٣). ولا تعارض بين الروايتين - في رأيي - ذلك أن طيماً كانت منازلها شمالي الحجاز وجبالها أجاً وسلمى من أراضي الحجاز^(٤).

وزاد السيوطي وأبو حيان الأندلسي على ما تقدّم أن بعض طيء يبدلون الألف الموقوف عليها همزة فيقولون: هذه عصاً في عصا وهذه أفعاً في أفعى^(٥)، وقد ذكرها سيبويه دون نسبة^(٦).

يتضح مما أورده النحاة آنفاً أن طيماً تبدل الألف المتطرفة الموقوف عليها تارة ياء نحو هذه أفعى وتارة واواً نحو: هذه أفعو، وتارة همزة نحو: هذه أفعاً، فكيف تكون الظاهرة بهذه الوجوه المتباينة في القبيلة الواحدة في آن واحد؟ من الصعب فهم ذلك إلا على أساس أن يكون بطن من بطون القبيلة ينطقها بالياء فيقول أفعى، وآخر ينطقها بالواو فيقول أفعو، وثالث ينطقها بالهمزة فيقول: أفعاً^(٧). ويرجح هذا الاحتمال عبارات النحاة في الإشارة إلى اللهجة بقولهم^(٨): "وبعض طيء يقلبونها واواً" أو "ومنهم من يجعلها واواً"^(٩). وهذا دليل آخر على أن بعض بطون

(١) المصدر السابق ٢/٢٨٦.

(٢) الزمخشري. الفائق في غريب الحديث. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله (عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د. ت) ١/١٣٨. ابن منظور. لسان العرب ١٥/١٥٩ مادة (فعا).

(٣) الزمخشري. الفائق في غريب الحديث ١/١٣٨.

(٤) الهمداني الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الحوالي (مكتبة الإرشاد الطبعة الأولى.

صنعاء ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٨٥.

(٥) السيوطي. همع الهوامع ٣/٣٨٩. أبو حيان. ارتشاف الضرب ٢/٨٠٢.

(٦) سيبويه. الكتاب ٤/١٧٦، ١٧٧.

(٧) د. إبراهيم أنيس من أسرار اللغة / ٢١٧.

(٨) الرضي. شرح الشافية ٢/٢٨٦.

(٩) ابن يعيش. شرح المفصل ٤/٢٠١.

القبائل قد تختلف في بعض السمات عن أصولها. ويمكن من جانب آخر أن تكون الظاهرة قد تطوّرت وتغيّرت في القبيلة على هذا الشكل المتقدم في مراحل متعاقبة وأزمان متتالية، لا أن تكون قد وردت كما هي في مرحلة واحدة وزمن معين^(١).

ومهما يكن من أمر فإن علماء العربية القدامى إذا كانوا يرون أن الألف هي الأصل، وأنها أبدلت في لهجة طيء ياء على نحو ما تقدّم، فإن الخدثين يرون خلاف ذلك، ويذهبون إلى أن الألف في نهاية الاسم المقصور مرحلة متطورة، وأن الياء في لهجة طيء وفزارة وقيس تمثل الطور الأول القديم في العربية^(٢)، الأمر الذي يشير إلى "أن اللهجات العربية تشتمل على عناصر قديمة مغرقة في القدم، حفظها لنا التاريخ وسجلها"^(٣).

يرى الدكتور رمضان عبد التواب - في هذا السياق - أن الاطلاع على اللغات السامية يظهر أن مثل حبلي وأفعي بالياء أسبق في سلسلة التطور اللغوي من أفعى وحبلى بالألف، ويستدل على ذلك بأن "النظر إلى الأفعال الناقصة مثل رمى ودعا وهي تماثل في صورتها هذه، صورة الأسماء المقصورة في الفصحى، يربنا أنها في أصلها الأول في اللغات السامية كانت تتصرف تصرف الصحيح تماماً، والدليل على ذلك وجود هذا الأصل القديم في الحبشية والجزرية، وهي إحدى اللغات السامية، ففيها مثلاً يقال صَحَو في صحا وتلو في تلا ورمي في رمى"^(٤) وتلت هذه المرحلة مرحلة التسكين، وبذلك يصبح الفعل على نحو قضي ودعو كما تصبح الأسماء المقصورة على نحو أفعي وعضو^(٥). وهذه المرحلة تمثل الطور الأول القديم الذي وجد في لهجة طيء، والذي تطور فيما بعد إلى الألف في نهاية الاسم المقصور في الفصحى.

والخلاصة فيما تقدم أن بنية الكلمة للاسم المقصور قد تعددت صورها في الوقف بفعل الظلال اللهجية القديمة على النحو التالي:

١- أن يوقف على الاسم المقصور بالألف فيقال: هذه حُبلى وأفعى. وهذه هي اللغة الفصيحة الشائعة بين العرب.

(١) د. أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث ٤٩٩/٢.

(٢) د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية ١٤٤.

(٣) د. أحمد علم الدين الجندي. اللهجات العربية في التراث ٤٩٩/٢.

(٤) د. رمضان عبد التواب. بحوث ومقالات في اللغة ٢٤٤.

(٥) المرجع السابق ٢٤٥.

٢- أن يوقف عليه بالياء أو الواو أو الهمزة فيقال: هذه حبلى أو حبلو أو حبلأ وهذه أفعى أو أفعو أو أفعأ. وهذه سمات لهجية منسوبة إلى طيء. وهي قليلة، وعلى خلاف الأصل. كما أن الياء في قولنا، هذه حبلى وأفعى تمثل الطور الأول القديم في العربية، والذي استقر في لهجة طيء وفزارة وبعض قيس، واحتفظت هذه اللهجات به قبل أن يتطور ويصبح ألفاً في الفصحى وينتشر بين العرب.

٣- الوقف على تاء التانيث الاسمية:

المشهور عن العرب في الأسماء المختومة بتاء التانيث إن كانت بعد ساكن نحو: بنت وأخت أن تأتي في الوقف والوصل بالتاء. أما إن كانت تاء التانيث بعد حركة نحو: طلحة ورحمة وحزمة، أو بعد ساكن غير صحيح أي الألف نحو: فتاة وصلاة وزكاة، فالأكثر والشائع أن يوقف عليها بالهاء فيقال: طلحة ورحمة وحزرة، وفتاة وصلاه وزكاه، فإذا وردت في وصل الكلام عادت التاء إليها، فيقال: رحمة ربك واسعه، وهند فتاة مجتهده. ذلك أن الوقف عندهم موضع تغيير، أما الوصل فترجع فيه الأمور إلى أصولها^(١). وروي عن بعض العرب أنهم يقفون على مثل هذه الأسماء بالتاء، قال سيبويه^(٢): "وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف، طلحت"، ونسب الفراء هذه اللغة إلى طيء، جاء ذلك فيما نقله عنه ابن منظور قال^(٣): "قال الفراء: والعرب تقف على كل هاء مؤنث بالهاء إلا طيناً فإنهم يقفون عليها بالتاء فيقولون: هذه أمت وجاريت وطلحت". كذلك نقل البغدادي في شرحه لشواهد الشافعية عن الصاغاني قوله: "ومن العرب من إذا سكنت على الهاء جعلها تاء وهو طيء فقال: هذا طلحت وخبز الذرت"^(٤). وقد وصفت هذه الظاهرة بأنها فاشية^(٥)، ووردت في النشر، ومنه قولهم: وعليه السلام والرحمت^(٦). ومنه قول بعضهم "يا أهل سورة البقرة، فقال مجيب: لا أحفظ فيها ولا آيت"^(٧).

(١) ابن يعيش. شرح المفصل ٢٠٦/٤.

(٢) سيبويه. الكتاب ١٦٧/٤.

(٣) ابن منظور. لسان العرب ٤٧٩/١٥ (ها).

(٤) الرضي. شرح الشافعية ١٩٩/٤.

(٥) ابن يعيش. شرح المفصل ٢٠٦/٤.

(٦) المصدر السابق ٢٠٦/٤. ابن جني. الخصائص ٣٠٤/١.

(٧) السيوطي. جمع الهوامع ٣٩٧/٣.

ومهما يكن من أمر، فقد تسربت لغة طيء إلى القراءات القرآنية، فوردت كلمات في القرآن الكريم رسمت بالتاء المفتوحة، على خلاف المشهور في كتابتها نحو: رحمت ونعمت وامرات وسنت ومعصيت وابنت وشجرت، فوقف على هذه الكلمات بالهاء خلافاً للرسم القرآني ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب (١). ووقف عليها بالتاء الباقون موافقة للرسم القرآني (٢). وفي هذا السياق يقول الأخفش (٣)، "وكل شيء في القرآن مكتوب بالتاء فإنما تقف عليه بالتاء نحو نعمت ربكم، وشجرت الزقوم".

وجدير بالذكر أن الوقوف على تاء التأنيث في الاسم بغير إبدال ظاهرة سامية موجودة في اللغتين الأكادية والحبشية على نحو ما أشار إليه بروكلمان (٤). وعلى ذلك تكون لهجة طيء قد احتفظت بالطور القديم الذي هو الأصل للظاهرة، قبل أن يتطور في العربية الفصحى على الوجه المعروف. وقد لوحظ للهجة طيء امتداد في بعض اللهجات العربية المعاصرة (٥)، فقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (٦) أن الناس في لهجة خطاهم العامي في القصيم في المملكة العربية السعودية يقفون على تاء التأنيث المسبوقة بالألف في المفرد بالتاء نحو: الصلاة والزكاة والحياة والحياة.

وهكذا يتضح أن العربية قد عرفت صورتين في بنية الاسم المختوم بتاء التأنيث في حالة

الوقوف:

الأولى: إبدال هذه التاء هاء فيقال: طلحه وجاريه وفتاه. وهذه هي اللغة الفصحى التي شاعت على ألسنة العرب.

(١) ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، قدّم له علي محمد الضباع (دار الكتب العلمية.

الطبعة الأولى. بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ٩٧/٢. أحمد الدمياطي. إتحاف فضلاء البشر في القراءات

الأربع عشر. صححه علي محمد الضباع (دار الندوة الجديدة بيروت لبنان (د. ت) ص ١٠٣.

(٢) أحمد الدمياطي. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر / ١٠٣.

(٣) الأخفش. معاني القرآن ٤٨٦/٢، ٤٨٧.

(٤) بروكلمان. فقه اللغات السامية. (ترجمة د. رمضان عبد التواب. الرياض ١٩٧٧)، ص ٩٦.

(٥) د. إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة ٢١٩، في اللهجات العربية ١٣٧.

(٦) د. رمضان عبد التواب. بحوث ومقالات في اللغة/ ٢٦١.

الثانية: الوقوف على مثل هذه الأسماء بالتاء فيقال: طلحت وجاريت وفتاة. وهذه الصورة سمة لهجية منسوبة إلى طيء، وموجودة في بعض اللغات السامية، وعلى هذا الأساس فهي تمثل الطور القديم للظاهرة في العربية. ولها امتداد في بعض اللهجات العربية الحديثة.

٤- الوقوف على تاء جمع المؤنث السالم:

على عكس ما تقدّم في الوقف على الاسم المفرد المختوم بتاء التأنيث بالهاء، فإن الكثير الشائع في الوقف على تاء جمع المؤنث السالم يكون بإبقائها على حالها كما هي في الوصل^(١) فيقال: الهندات والمؤمنات والبنات والأخوات، وحكى الفراء وقطرب عن بعض العرب إبدال هذه التاء هاء في الوقف^(٢). روى قطرب قولهم: "كيف البنون والبنات" يريدون: البنات، وقولهم: كيف الإخوة والأخوات "يريدون" الأخوات. ونسب بعض النحاة هذه اللغة إلى طيء^(٣)، ووصفت بالشذوذ، وعدم جواز القياس عليها^(٤)، وقد أجازها بعضهم^(٥)، مسوّغاً ذلك بإجراء تاء الجمع مجرى تاء الاسم المفرد لشبه بينهما من ناحية أن ما قبل تاء الجمع ألف، فكأن ما قبلها مفتوح كتاء المفرد، فأشبهت أسماء في المفرد يوقف عليها بالهاء نحو: الحياة والفتاة وصلاة وزكاة وأمثالها، ثم إنّها من ناحية أخرى زائدة كتاء المفرد، وهذا ما عبّر عنه الرضي في عرضه لوجه الشبه بينهما قائلاً في سياق حديثه عن جواز الوقف على تاء الجمع بالهاء^(٦): "فإن ما قبلها ألف، فكأن ما قبلها مفتوح كتاء المفرد وليست بدلاً من اللام بل هي زائدة محضة كتاء المفرد فلهذا جوّز بعضهم إجراءها مجراها".

(١) ابن مالك. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. تحقيق محمد كامل بركات (دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص ٣٣٠.

(٢) أبو حيان الأندلسي، الارتشاف ٨١٨/٢.

(٣) المصدر السابق ٨١٨/٢. السيوطي. همع الموامع ٢٩٨/٣. الأشموني. شرحه على الألفية: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (مكتبة النهضة المصرية: الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٥٥). ٧٥٦/٣.

(٤) أبو حيان. الارتشاف ٨١٨/٢.

(٥) المصدر السابق ٨١٨/٢.

(٦) الرضي. شرح الشافية ٢٩٢/٢.

على أن للمحدثين تفسيراً آخر للظاهرة، فقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس^(١) في دراسته لها إلى أن ما ظنّه القدماء إبدالاً لتاء جمع المؤنث السالم هاء في الوقف ليس كذلك، إنما هو في واقع الأمر حذف لهذه التاء من الآخر، وامتداد للنفس في نطق الألف قبلها حين الوقوف عليها، فيخيل للسامع أن الكلمة تنتهي بالهاء. وقد سمّاها القدماء هاء السكت، وهي تلحق الكلمات التي تنتهي بصوت لبن طويل في الوقف كما في البناء والمكرماه.

وعلى هذا الأساس المتقدم فقد روى النحاة صورتين في بنية جمع المؤنث السالم في

الوقف:

الأولى: إبقاء التاء في آخره على حالها كما هي في الوصل فيقال: الأخوات والبنات، وهي اللغة الفصحى الشائعة على ألسنة العرب.

الثانية: إبدالها هاء في الوقف، وهي سمة لهجية منسوبة إلى طيء يقولون: الأخواه والبناء. وقد وصفت بالشذوذ وعدم جواز القياس عليها، وإن كان بعض النحاة قد أجازوها.

٥- توكيد فعل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة بالنون؛

إذا اتصلت نون التوكيد بفعل الأمر المسند إلى ياء المخاطبة، وكان ما قبل الياء مكسوراً نحو: ارمي وابكي حذفت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين وقلت: ارمين وابكين، إذ الأصل فيهما ارمين وابكين^(٢). أما إذا كان ما قبل الياء مفتوحاً نحو: اخشي وارضى واتصلت بالفعل نون التوكيد فإن الياء تبقى ولا تحذف وتحرك بالكسرة لتجانسها^(٣)، فيقال: اخشين الله وارضين بما قسم لك يا سعاد.

وحكى النحاة لغة أخرى نسبت إلى طيء^(٤)، وتذهب إلى حذف هذه الياء المفتوح ما قبلها في اخشي وارضى عند اتصال نون التوكيد بالفعل على خلاف الشائع عند العرب فيقولون: اخشن وارضن في اخشين وارضين، الأمر الذي يحدث تغييراً في بنيتها بفعل هذه السمة اللهجية،

(١) د. إبراهيم أنيس. في اللهجات العربية/١٣٦.

(٢) الرضي الاسترأبادي. شرح الكافية ٥٣١/٤. ابن هشام. أوضح المسالك ١٠٩/٤.

(٣) أبو حيان. الارتشاف ٦٦٣/٢. الرضي الاسترأبادي. شرح الكافية. قدم له د. إميل يعقوب (دار الكتب

العلمية. الطبعة الأولى بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ٥٣١/٤.

(٤) أبو حيان. الارتشاف ٦٦٣/٢. الصبان. حاشيته (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي. القاهرة

(د.ت) ٢٢٣/٣.

ويؤدي إلى تشكيل صورة ثانية لها مغايرة للصورة المشهورة في العربية. هذا لم يجز جمهور النحاة حذف هذه الياء، وأجاز ذلك الكوفيون^(١).

ب. ثالثاً: ظلال لهجة هذيل في بنية الكلمة

١- حذف الياء من المنقوص المعرف بـأل والمضاف:

الأصل في الاسم المنقوص المعروف بـأل والمضاف أن تثبت الياء في آخره، فيقال: هذا هو القاضي، وهذا قاضي المدينة. أما إذا جاء مجرداً من الألف واللام وغير مضاف فإن الياء تحذف من آخره نحو: هذا قاضٍ. وهذه هي اللغة الأشبع والأجود في العربية^(٢). وبها أخذت الفصحى. ومن العرب من يحذف الياء من المنقوص المعرف بـأل، وكذلك من المضاف، في موضع الرفع والجر، مكتفياً بالكسرة في آخره لتتوب عنها تشبيهاً له بما ليس فيه ألف ولا م^(٣). ومن الشواهد التي أوردها النحاة على هذه اللغة في الشعر قول الشاعر^(٤):

وطرت بمنصلي في يعملات دوامي الأيدى يخبطن السريحا

أراد: الأيدي فحذف الياء مجتزئاً بالكسرة عنها.

وقول خفاف بن ندبه السلمي^(٥):

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثين عصف الإثم

أراد: كنواحي. فحذف الياء.

وحذف هذه الياء من المعروف بال أو المضاف في السعة على خلاف الأصل، ذلك أنها جزء من بنية الكلمة وحذفها يحدث تغييراً في بنيتها. أما في الشعر فإن الحذف من باب الضرورة

(١) أبو حيان، الارتشاف ٦٦٢/٢. الصبان، حاشيته ٢٢٣/٣.

(٢) سيبويه. الكتاب ١٨٣/٤.

(٣) المصدر السابق ١٨٣/٤. أبو علي الفارسي. الحجة ١٤/٥، ٤٠٨/٦.

(٤) سيبويه. الكتاب ١٩٠/٤. ابن جني. الخصائص ١٣٣/٣. والمنصف ٧٣/٢. وأبو البركات الأنباري،

الإنصاف ٥٤٥/٢.

(٥) سيبويه. الكتاب ٢٧/١. أبو البركات الأنباري. الإنصاف ٥٤٦/٢.

عند سيويوه لقوله^(١): "إلا أن يضطر شاعر فيحذف". وعند الفراء لغة^(٢). ونسبها أبو حيان إلى هذيل^(٣).

وطالما أن الظاهرة لغة يتكلم بها بعض العرب هم قبيلة هذيل، وفق ما نقل أبو حيان، فإن ذلك يعفينا من القول إنها ضرورة يلجأ إليها الشاعر عندما يضطر لإقامة الوزن، لأن متكلم اللغة لا يقتصر في استخدامها على الشعر، بل يستخدمها أيضاً لتلبية أغراضه في فنون الكلام الأخرى في المناسبات. ثم إن حذف الياء من المنقوص المعرف بأل قد ورد على هذه اللغة في غير الشعر، أعني في القرآن العزيز في آيات كريمة منها قوله تعالى: "وثمود الذين جابوا الصخر بالواد" (الفجر ٩) وقوله: "إني أخاف عليكم يوم التناد" (غافر/ ٣٢) وقوله: "من يهد الله فهو المهتد" (الكهف/ ١٧) وقوله: "عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال" (الرعد/ ٩)، وقوله: "يوم يدع الداع إلى شيءٍ نُكِّر" (القمر/ ٦). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآيات الكريمة جميعها قد وردت في الرسم القرآني العثماني بدون الياء، وقرأ بها على هذا الوجه بغير ياء في الوصل والوقف ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي^(٤)، وحجتهم أن خط المصحف بغير ياء، وأن العرب تجتزئ بالكسرة عن الياء.

لم يقتصر حذف الياء على الاسم المنقوص المعرف بأل أو المضاف، بل تعداه إلى الفعل المضارع الناقص في حالة الرفع أيضاً. ومن الشواهد التي أوردها النحاة على ذلك في الشعر قول الشاعر^(٥):

كفّاك كفّ ما تُلقي درهماً جوداً وأخرى تعط بالسيف الدّما

أراد تعطي فحذف الياء واجتزأها بالكسرة.

وقول زهير^(١):

(١) سيويوه. الكتاب ١٩٠/٤.

(٢) أبو حيان. الارتشاف ٨٥٠/٢.

(٣) أبو حيان. البحر المحيط ٢٦١/٥.

(٤) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ٣٥٨، ٦١٧. أبو علي الفارسي. الحجة للقراء السبعة ١٣/٥، ٢٤١/٦، ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات. تحقيق سعيد الأفغاني (مؤسسة الرسالة. الطبعة الخامسة. بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) ص ٣٧٢، ٦٢٧.

(٥) ابن جني، النصف ٧٤/٢ والخصائص ١٣٣/٣. أبو حيان. البحر المحيط ٢٦٢/٥.

ولأنت تفري ما خلقت
وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
أراد: يفري: فحذف الياء.

ومما ورد من حذف ياء المضارع في القرآن الكريم قوله تعالى: "والليل إذا يسر (الفجر/ ٤) وقوله: "ذلك ما كنا نبغ" (الكهف ٦٤) وقوله: "يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه" (هود ١٠٥).

وعلى أي حال فقد أجاز سيويه حذف الياء من الاسم المنقوص المعرف بـأل والمضاف ومن المضارع الناقص في حالة الرفع في قوافي الشعر والفواصل القرآنية على نحو ما ورد في الأبيات والآيات الكريمة السابقة بقوله: "وجمع ما لا يحذف في الكلام، وما يختار فيه أن لا يحذف، يحذف في الفواصل والقوافي"^(٢).

ومهما يكن من أمر، فإن ما سماه القدماء حذفاً للياء وإنابة الكسرة عنه في الاسم المنقوص أو في الفعل المضارع الناقص ليس في واقع الأمر، من وجهة النظر اللغوية الحديثة، سوى تقصير للحركة الطويلة (الياء) لتصبح حركة قصيرة (كسرة) فالحركة واحدة في الحالتين، والفرق في طولها وقصرها. وعليه فإن ما يفعله أصحاب هذه اللغة لا يعدو كونه تقصيراً للحركة الطويلة ليس إلا.

وهكذا يتضح مما تقدم أن لبنية الاسم المنقوص المعرف بـأل والمضاف صورتين في العربية بفعل الظلال اللهجية تذهب أولاهما إلى إطالة الحركة في آخره وهي الصورة الفصيحة والمشهورة التي استقرت عليها العربية الفصحى إلى اليوم. أما الثانية فسمية لهجية نسبت إلى هذيل وتذهب إلى تقصير الحركة في آخر المنقوص وقد أجازها النحاة في الشعر وفي فواصل القرآن الكريم، لكنهم لم يميزوها في سعة الكلام.

٢- جمع فعلت على فعلات في معتل العين؛

الأصل في الاسم إذا كان مؤنثاً على وزن "فعلت" وصحيح العين غير مدغمها أن يجمع جمع مؤنث سالماً على "فعلات" بفتح العين، فيقال في جمع قرّة وسجدة وركعة: قمرات وسجدات وركعات.

(١) ابن جني، المنصف ٧٤/٢.

(٢) سيويه. الكتاب ١٨٤/٤، ١٨٥.

فإذا جاءت فاء الاسم مضمومة أو مكسورة جاز في عين الجمع ثلاثة أوجه: الفتح: على القياس فيقال: غرفات ونعمات، والإتباع: وهو لغة أهل الحجاز فيقال غرفات ونعمات، وتلك هي اللغة التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وهم في الغرفات آمنون" (سبأ/٣٧)، وقوله: "يخرجهم من الظلمات إلى النور" (البقرة/ ٢٥٧) والإسكان هو لغة تميم فيقال: عُرفات ونعمات للتخفيف من ثقل توالي الضمة والكسرة.

أما إذا جاء الاسم على وزن "فعلة" معتلّ العين نحو: "جوزة" و"بيضة" فقياسه عند سائر العرب أن يجمع على "فعلات" يسكان العين فيقال: "جوزات" و"بيضات"^(١)، وهذه هي اللغة التي أخذت بها الفصحى، ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "ثلاث عورات لكم" (النور/ ٥٨) وقوله: "في روضات الجنات" (الشورى/ ٢٢). ويستثنى من سائر العرب هذيل، فإنهم يذهبون إلى فتح عين الكلمة في الجمع فيقولون: جوزات وبيضات وروضات، الأمر الذي يحدث تغييراً في بنيتها، وعلل النحاة ما ذهب إليه هذيل بخفة الفتحة وبكونها عارضة^(٢)، وقال شاعرهم^(٣):

أبو بيضات رائح متأوبٌ رقيق بمسح المنكين سبوحٌ

ووردت لغة هذيل في بعض القراءات القرآنية للآية الكريمة "ثلاث عورات لكم" (النور/ ٥٨) حيث قرأها ابن أبي اسحاق والأعمش بفتح الواو في "عَوَرات"^(٤).

(١) انظر: الرضي الاسترأبادي. شرح كافي ابن الحاجب ٣/ ٤٦٠، ٤٦١ والسيوطي، جمع الهوامع ٨٢/ ١،

٨٣. وابن هشام: أوضح المسالك ٣٠٣/ ٤- ٣٠٦. ابن منظور. لسان العرب ٢/ ٥٨٠ مادة (نعم).

(٢) سيويه. الكتاب ٣/ ٦٠٠. الرضي بشرح الشافية ٢/ ١١١. أبو حيان: الارتشاف ٢/ ٥٩٢. ابن هشام.

أوضح المسالك ٣٠٦/ ٤.

(٣) ابن جني: المنصف ٣٤٣/ ١ والخصائص ١٨٤/ ٣ واختسب ٥٨/ ١. الرضي: شرح الشافية ٢/ ١١١. أبو

حيان. الارتشاف ٢/ ٥٩٢. السيوطي. همع الهوامع ٨٣/ ١. وقد ورد البيت في بعض الروايات أخو

بيضات.

(٤) أبو حيان. البحر المحيظ ٦/ ٤١٤.

ت. رابعاً: ظلال لهجية متفرقة في بنية الكلمة

١- لهجة قيس في قلب الواو الساكنة المفتوح ما قبلها ألفاً؛

الأصل في الفعل الذي يأتي على (فعل) أن يكون مضارعه على (يفعل) ومنه قولك: وجل: يوجل، ووحل: يوحل، ووجع: يوجع^(١). وهذه هي اللغة الفصحى المشهورة، وهي اللغة التي نزل بها القرآن في قوله تعالى: "قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم" (الحجر/٥٣).

وتذهب لغة لبعض العرب إلى قلب هذه الواو في توجل ويوجل ويوجع ألفاً يقولون: يا جل وياحل وياجع، ذلك أنهم كرهوا الواو مع الياء فاستقلوها وقلبوها ألفاً للتخفيف^(٢). وهذا القلب في لغتهم قياس مطرد في كل واو ساكنة قبلها فتحة، وإن كان ضعيفاً في نظر بعض النحاة^(٣)، ذلك أن القياس عندهم في الواو إذا انفتح ما قبلها وكانت في موضع حركة أن تقلب ألفاً نحو الواو في قول ودعو حيث يقال فيهما قال ودعا. وأما إذا سكنت الواو وقبلها فتحة، فإنها لا تغير نحو الواو في يوجل ويوجع ونظائرها، لذلك كان قلبها ألفاً على خلاف الشائع في مذهبهم^(٤).

لم يقتصر الأمر في هذه اللغة على قلب الواو الساكنة المفتوح ما قبلها على صيغة (يفعل) بل تعداها أيضاً إلى قلب هذه الواو ألفاً في صيغة (يفتعل) فقالوا: يا تزن وياتعدون في يوترن ويوتعدون^(٥). والقياس في هذه الواو الواقعة في فاء (افتعل) أن تقلب تاء وأن تدغم في تاء (افتعل) فيقال: يتزن ويتعدون. وهذه هي اللغة الشائعة عند العرب في بناء (افتعل) من الفعل الذي فاؤه واو. لكن هؤلاء القوم تركوا "يوترن ويوتعدون" على الأصل، ثم أبدلوا الواو ألفاً جرياً على لغتهم في إبدال الواو الساكنة المفتوح ما قبلها ألفاً، لأن ذلك أخف عليهم^(٦).

(١) الأخفش. معاني القرآن ٣٧٩/٢. المبرد، المقتضب. تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب بيروت

١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) ٨٩/١.

(٢) سيويه، الكتاب ١١١/٤، ١١٢. المبرد. المقتضب ٩٠/١. الرضي: شرح الشافية ٢٠٩/٣.

(٣) الرضي. شرح الشافية ١١١/٣.

(٤) المبرد، المقتضب ٩٠/١، الرضي. شرح الشافية ١١١/٣.

(٥) ابن جني. الخصائص ١٤/٢.

(٦) ابن جني. المنصف ٢٢٢/١، ٢٢٣.

اختلف العلماء في نسبة هذه اللهجة: فنسبها أبو عمرو الشيباني (ت ٢١٠هـ) إلى قيس قال^(١): "أهل الحجاز يقولون وجع يوجع وبنو تميم يجمع وقيس ياجع غير مهموز". وذكرها سيويه (ت ١٨٠هـ) في كتابه مكتفياً بالإشارة إلى أنها لغة لبعض العرب من غير أهل الحجاز دون تسميتهم قائلاً^(٢): "وأما وجل يوجل فإن أهل الحجاز يقولون: يوجل ... وغيرهم من العرب سوى أهل الحجاز يقولون في توجل هي تيجل وقال بعضهم يا جل فأبدلوا مكانها ألفاً كراهية الواو مع الياء". وذهب فيها المبرد (ت ٢٨٥هـ) مذهباً مختلفاً عن سابقه فنسبها إلى أهل الحجاز بقوله^(٣): "وقال قوم وهم أهل الحجاز نبدلها على ما قبلها فنقول: يا جل ويا حل"، وعارضه فيما ذهب إليه ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) فيما نقله عنه البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) فأكد نسبتها إلى قيس بقوله^(٤): "أهل الحجاز يقولون وجع يوجع ووجل يوجل. يقرون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ما قبلها وهي أجود اللغات، وبعض قيس يقول وجل يا جل ووجع ياجع". ومقتضى هذه الأقوال أن الراجح فيها نسبة هذه اللهجة إلى قيس نظراً إلى أنه يستند إلى قول أبي عمرو الشيباني الذي وصف بأنه عالم بكلام العرب حافظ للغات^(٥) لكثرة ما رحل إلى البادية، وما أنفذه من الخبر في كتابة سماعه عن العرب، وجمعه لأشعار ما يزيد عن ثمانين قبيلة^(٦). كما يستند إلى قول سيويه الذي ذكر أن لهجة أهل الحجاز إبقاء الواو على حالها. وهو قول يخالف ما ذهب إليه المبرد، ويتفق مع رواية أبي عمرو الشيباني. يضاف إلى ذلك أن المبرد لم يرحل إلى البادية، ولم يرو عن العرب مكتفياً بالنقل عن شيوخه ومنهم أبو حاتم السجستاني وأبو عثمان المازني.

(١) أبو عمرو اسحاق بن مرار الشيباني. الجيم. تحقيق عادل عبد الجبار الشاطي (مكتبة لبنان. الطبعة الأولى. بيروت ٢٠٠٣م)، ص ٤٨٥ (مادة وجع).

(٢) سيويه. الكتاب ١١١/٤، ١١٢.

(٣) المبرد / المقتضب ٩٠/١.

(٤) البغدادي عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب. تحقيق عبد السلام هارون (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ٢٢/٢.

(٥) السيوطي عبد الرحمن جلال الدين بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٦) القفطي علي بن يوسف. إنباه الرواة على أنباه النحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (دار الفكر العربي، القاهرة. الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ٢٥٦/١، ٢٥٩.

٢- لهجة بني فزارة في قلب همزة الممدود ياء في التثنية:

الممدود هو كل اسم وقعت في آخره همزة قبلها ألف زائدة نحو كساء وحراء. وتأتي هذه الهمزة في آخر الممدود على أربعة أضرب: فإما أن تكون أصلية نحو: قراء لجيد القراءة، أو أن تكون بدلاً من أصل أي منقلبة عن الياء أو الواو الأصليتين نحو رداء وكساء، أو زائدة للإحاق نحو علباء، أو زائدة للتأنيث نحو حمراء^(١).

فإذا كانت الهمزة أصلية بقيت في التثنية على حالها فيقال: قراءن ووضاءن وحكى أبو علي الفارسي عن بعض العرب (٢) دون تسميتهم قلبها واواً يقولون: قَراءن ووضاوان، وهذا قليل^(٣).

وإذا كانت الهمزة منقلبة عن أصل أو زائدة للإحاق جاز فيها إبقاؤها على حالها فيقال: كساءن وسماءن وعلباءن، أو إبدالها واواً فيقال كساوان وسماوان وعلباوان. وهاتان اللغتان شائعتان يتكلم بهما جميع العرب^(٤)، وقاسهما النحاة على اختلاف بينهم في تقديم إحداها على الأخرى.

وحكى أبو زيد لغة ثالثة لبني فزارة تذهب إلى قلب الهمزة المنقلبة عن أصل ياء يقولون: كسايان وسقايان^(٥). وهذه اللغة قليلة لم يجزها أكثر النحاة ولم يقيسوها خلافاً للكسائي^(٦). أما إذا كانت الهمزة زائدة للتأنيث فلم يذكر فيها سيويه إلا القلب واواً عند التثنية^(٧) فيقال: حمراوان. وهذه هي اللغة الشائعة عند العرب. وورد على قلة إقرار الهمزة فيها فيقال: حمراءن. قال أبو عمرو^(٨): "كل العرب تقول حمراوان وربما قالوا حمراءن". لذلك اعتبر كثير من النحاة إقرارها شاذاً، لكن الكوفيين أجازوا فيها القلب والإقرار^(٩).

(١) انظر ابن يعيش. شرح المفصل ٣٤٧/٢، الرضي. شرح الكافية ٤٢١/٣.

(٢) الرضي. شرح الكافية ٤٢١/٣.

(٣) أبو حيان الأندلسي. ارتشاف الضرب ٥٥٩/٢.

(٤) المصدر السابق ٥٦١/٢.

(٥) المصدر السابق ٥٦١/٢.

(٦) الرضي. شرح الكافية ٤٢٢/٣.

(٧) سيويه. الكتاب ٣٩١/٣.

(٨) ابن يعيش: شرح المفصل ٣٤٩/٢.

(٩) أبو حيان. ارتشاف الضرب ٥٦٢/٢.

وذكر بعض النحاة في الهمزة الزائدة للتأنيث لغة ثالثة لفزارة تذهب إلى قلبها ياءً يقولون: حمرايان وصحرايان^(١)، فصار فيها على هذا الأساس ثلاث لغات: حمراوان وهي اللغة الشائعة، ثم حمراءان وحمرايان وهما لغتان قليلتان، ومع ذلك فقد أجاز فيها الكسائي اللغات الثلاث جميعها^(٢).

والخلاصة فيما تقدم أن الظلال اللهجية في تنثية الممدود قد أوجدت تبايناً في صورته، واختلافاً بين النحاة في حكمهم، على الوجه الذي رأيناه قبل سطور.

٣- لهجة ربيعة في تسكين المنصوب المنون في الوقف:

الأصل في الوقف أن يكون بالسكون في نهاية الاسم الصحيح الآخر في حالات المرفوع والمجرور والمنصوب المعرف بالألف واللام فيقال: هذا زيد، ومررت بزيد، وقابلت الرجل، بإسكان الآخر، لأن الغرض من الوقف هو الاستراحة وتكون بالسكون أبلغ^(٣). أما إذا كان الاسم منصوباً ومنوناً بالفتح، فإنهم في هذه الحالة يحذفون التنوين ويبدلون منه الألف فيقولون: قابلت زيداً. إلا المؤنث بالتاء نحو أكرمت مهندسة فإنه يوقف عليه بالهاء فيقال أكرمت مهندسه، وهذه هي اللغة الفصيحة المشهورة التي عليها أكثر العرب^(٤). ولكن بعضهم لم يسر على هذا النهج في الوقف وكانت له فيه طريقة أخرى.

فقد حكى بعض النحاة واللغويين ومنهم أبو الحسن الأخفش وأبو عبيدة وقطرب وأكثر الكوفيين^(٥) لغة أخرى لبعض العرب في الوقف على المنصوب المنون تذهب إلى حذف الألف مع التنوين وتسكين آخره، وإجرائه مجرى المرفوع والمجرور، ليجري الباب كله مجرى واحداً فيقولون: رأيت زيد، كما يقولون: هذا زيد ومررت بزيد، بتسكين الدال. ونسبت هذه اللغة إلى ربيعة^(٦). وما أورده النحاة على هذه اللغة قول الشاعر^(٧):

(١) أبو حيان. ارتشاف الضرب ٥٦٢/٢.

(٢) ابن يعيش. شرح المفصل ٣٤٩/٢.

(٣) محمد الخطري. حاشيته على ابن عقيل ١٧٦/٢.

(٤) ابن يعيش. شرح المفصل ١٨٨/٤.

(٥) ابن جني، الخصائص ٩٧/٢.

(٦) ابن مالك، التسهيل ٣٢٨. الرضي. شرح الشافية ٢٧٩/٢. السيوطي، همع الهوامع ٣٨٦/٣.

(٧) السيوطي همع الهوامع ٣٨٦/٣.

ألا حبذا غنمٌ وحسن حديثها لقد تركت قلبي هائماً دنف

وقول الآخر^(١):

جعل القين على الدف إبره

وقول الأعشى^(٢):

وآخذ من كل حي عصم

ياسكان الآخر في: دنف وإبر وعصم على خلاف الأصل في الوقوف على هذه

الكلمات حيث يوقف عليها بالألف في آخرها بأن يقال: دنفاً وإبراً وعصماً.

ومهما يكن من أمر فإن للمحدثين رأياً في تحليل الظاهرة عند ربيعة حيث ذهب الدكتور

إبراهيم أنيس في تفسيره لها إلى أن هؤلاء القوم كانوا ممن يسرعون في نطقهم، ويتعجلون نهاية

الكلمة، فينتقصون من أواخرها، ولا يحرصون على التأني في النطق وإعطائها كل حقها الصوتي،

دون أن يكون ذلك منهم متعمداً أو مقصوداً، بل يصدر عنهم بصورة لا شعورية، وتكون النتيجة

عندهم الوقوف بالسكون على الاسم المنون مهما كانت حركته، وحذف الألف من المنون

المنصوب^(٣)، على النحو الذي أشرنا إليه، واستشهد النحاة عليه بأبيات شعرية.

لهذا كانت الطريقة التي اتخذها الفصحى في الوقوف على الاسم المنصوب المنون بالإبقاء

على الألف وعدم تسكينه هي التي اشتهرت عند أكثر العرب، لأنها أفصح الطرق، وهي الشائعة

في فواصل القرآن الكريم. يتضح ذلك في مواضع كثيرة منه، نحو قوله تعالى: "قل أوحى إليّ أنه

استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا.

وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً. وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً. وأنا ظننا أن

لن تقول الإنس والجن على الله كذباً" (الجن ١-٥) إلى آخر آيات السورة. ومما لا شك فيه أنه

بمذه الطريقة في الوقف على رؤوس الآيات تبرز موسيقاها، وتستريح الأذان إلى سماعها^(٤).

(١) ابن جني. الخصائص ٩٧/٢. ابن يعيش. شرح المفصل ١٩٠/٤. مع اختلاف في الرواية فقد أورده ابن

يعيش بقوله: قد جعل ...

(٢) ابن جني الخصائص ٩٧/٢، الرضي شرح الشافية ٢٧٩/٢. ابن يعيش شرح المفصل ١٩٠/٤.

(٣) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة (مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٦٦م)، ص ٢١٤.

(٤) د. إبراهيم أنيس. من أسرار اللغة / ٢١٥.

وبعد، فإنه يتضح مما سبق أن لهجة ربيعة قد ألفت بظلالها على آخر الكلمة في الوقف، فأحدثت تغييراً في بنيتها أدى إلى وجود صورتين في العربية للاسم المنسوب المتون في الوقف: الأولى تذهب إلى الوقف عليه بالألف، وتلك هي اللغة الفصحى التي شاعت بين العرب وجاء القرآن الكريم عليها. والثانية سمة لهجية لقبيلة ربيعة تذهب إلى الوقف عليه بالسكون على خلاف الشائع في لغة العرب.

٤- لهجة أزد السراة في الوقف على آخر الكلمة بإطالة حركتها؛

للعرب طرق شتى في الوقف على آخر الكلمة، فإذا كانت اللغة الفصحى المشهورة عندهم تذهب إلى حذف الحركة من آخرها وتسكينه في حالتي الرفع والجر، وإبدال التنوين ألف مة في حالة النصب، فإن أزد السراة يجرون الرفع والجر مجرى النصب في حالة الوقف، ويذهبون إلى إطالة الحركة في آخر الكلمة، لتصبح الضمة واواً والكسرة ياء فيقولون: هذا زيدو ومررت بزيدي بإثبات الواو والياء، كما أثبتوا الألف في قولهم: أكرمت زيدا. وبذلك جعلوا الوقف على آخر الكلمة قياساً واحداً في حالات الرفع والجر والنصب^(١)، على خلاف الشائع في كلام العرب، وفي هذا الصدد يقول سيبويه^(٢): "وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون: هذا زيدو وهذا عمرو ومررت بزيدي وبعمري، جعلوه قياساً واحداً فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف". وقد وصفت هذه اللغة بالقلّة^(٣)، وخروجها عن القياس. ذلك أن العرب تبدل من التنوين في النصب الألف في الوقف لحفتها، ولا تفعل ذلك في حالتي الرفع والجر لثقل الواو والياء.

أما ما تفعله أزد السراة فإن الغرض منه في رأي القدماء هو الحرص على بيان الإعراب، وكأنه عندهم أولى^(٤) من استثقال الواو والياء. أما المحدثون فإنهم في تفسيرهم لهذه الظاهرة رأوا أن هؤلاء القوم يميلون إلى التأيي في النطق، والحرص على إعطاء الكلمة حقها الصوتي دون إجحاف أو انتقاص شيء من أواخرها حتى يكون الكلام واضحاً إلى نهايته.

ومهما يكن من أمر، فقد أدت لهجة أزد السراة إلى إيجاد صورة أخرى في بنية الكلمة في الوقف، تذهب إلى إطالة الحركة في آخرها. وهي صورة مغايرة لما شاع بين العرب في الاستراحة على آخر الكلمة بالسكون. لهذا وصفت بالقلّة والخروج على القياس.

(١) سيبويه. الكتاب ١٦٧/٤. ابن يعيش شرح المفصل ١٩١/٤. الرضي. شرح الشافية ٢٨٠/٢. السيوطي. همع الهوامع ٣٨٦/٣.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٦٧/٤.

(٣) ابن يعيش شرح المفصل ١٩١/٤.

(٤) الرضي. شرح الشافية ٢٨٠/٢. السيوطي. همع الهوامع ٣٨٦/٣.

الخاتمة

أهم نتائج الدراسة ما يلي:

١- يتراءى لي أن بعض أحكام الضرورة والشذوذ وتعدد الوجوه في بنية الكلمة يمكن إرجاعه إلى هذه الظلال اللهجية التي تم خلطها بالقواعد العامة للفصحى، ويمكن حمل شيء منها على أنه أطوار سابقة مرت بها العربية أو تأثرت فيها بشقيقتها اللغات السامية. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- كسر حروف المضارعة ظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية، وقد دخلت إلى العربية من أخواتها الساميات، واستقرت في لهجة تميم وغيرها من القبائل البدوية.

ب- لهجات طيء وفزارة وبعض قيس في الوقف على ألف الاسم المقصور بالياء تمثل الطور الأول القديم في العربية قبل أن يتطور ويصبح ألفاً في الفصحى.

ج- إن الوقف على تاء التأنيث الاسمية في المفرد بغير إبدالها هاء ظاهرة سامية موجودة في اللغتين الأكادية والحبشية. وقد احتفظت بها لهجة طيء قبل أن تتطور على الوجه المعروف في الفصحى.

٢- كما أن عدداً آخر من هذه الظلال اللهجية القديمة في بنية الكلمة له امتداد في اللهجات العربية المعاصرة، ويمكن الاستفادة منه في إلقاء مزيد من الضوء على اللهجات الحديثة، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- كسر حروف المضارعة منتشر في كثير من اللهجات العربية المعاصرة منها: الأردنية والسورية والمصرية ولهجات شرقي الجزيرة العربية.

ب- كسر فاء (فعليل) و(فعل) انتقلت إلى بعض اللهجات العربية الحديثة دون اقتصرها على الكلمات الحلقية العين.

ج- لهجة تميم في إتمام اسم المفعول ما زالت باقية وشائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة.

د- لهجة طيء في قلب الياء المكسور ما قبلها ألفاً ما زالت مستعملة في عامية بعض أقاليم مصر.

هـ- الوقف على تاء التانيث الاسمية دون إبدالها هاء موجودة في عامية القصيم في المملكة العربية السعودية.

٣- تسرّب كثير من هذه الظلال اللهجية في بنية الكلمة إلى القراءات القرآنية فقرأ بها عدد من القراء. ومن أمثلة تلك الظواهر اللهجية في القراءات القرآنية ما يلي:

أ- إسكان عين الثلاثي المجرّد سواء كان اسماً أو فعلاً لهجة تميمية قرأ بها عدد من القراء من السبعة ومن غيرهم. وقد أجازها النحاة في المضموم والمكسور ولم يميزوا إسكان المفتوح.

ب- كسر حروف المضارعة ورد في القراءات الشاذة، ولم يرد في القراءات المتواترة المشهورة.

ج- كسر فاء (فعل) و(فعل) ورد في بعض القراءات الشاذة.

د- الوقف بالنقل ظاهرة تميمية قرأ به أبو عمرو بن العلاء التميمي، وروي أيضاً عن سلام.

هـ- الوقف على تاء التانيث الاسمية بغير إبدال قرأ به بعض القراء موافقة للرسم القرآني.

و- ظاهرة حذف الياء من المنقوص المعرف بال والمضاف المنسوبة إلى هذيل وجدت في القرآن الكريم وكتبت في الرسم القرآني العثماني بدون ياء وقرأ بها في الوصل والوقف على هذا الوجه ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي.

ز- جمع فعلة على فعلات في معتل العين قرأ به ابن أبي اسحاق والأعمش.

من أجل مزيد من الاطراء في قواعد بنية الكلمة في العربية الفصحى؛ لعل من الأجدى عدم خلط هذه السمات اللهجية بأحكام الفصحى، بحيث يتم تناولها عبر دراسات تبحث في تاريخ اللغة وتطورها أو تهدف للتعرف على خصائص اللهجات العربية الحديثة. وفي ذلك تيسير للطلبة والدارسين لأننا نخفف عليهم دراسة الصرف بالتقليل مما علق به من أحكام الضرورة والشذوذ وتعدد الوجوه وخلافات الصرفيين.